

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

The alienation of Palestine woman in the usurpation of Saad Allah winnows

1 * بونشادة نبيلة

1. لمدسة العليا للأساتذة مسعود زغار - سطيف

bounechada.nabila@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/11/07 تاريخ القبول: 2024/12/05 تاريخ النشر: 2024/12/26

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة موضوعاتية تتمحور حول ما تعانيه المرأة الفلسطينية في ظل الواقع المأساوي للاحتلال الصهيوني في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس والتي عكست جملة من التناقضات على مستوى الشخصيات الأنثوية بين الوعي واللاوعي، الاغتراب والأنس، الوطن والضياع، الهوية واللاهوية، وقد سعت رؤية الكاتب إلى استظهار البناء الدرامي في مسرحيته من خلال تسييس الرؤية المطروحة لكشف الواقع السياسي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني والمرأة بخاصة من الجانبين الفعلي والنفسي. ولذا كان محور التقاطع المركزي حول آليات بناء ثنائية التقابل والتضاد بين المرأة الفلسطينية والإسرائيلية عن طريق تعرية الخطاب الإيديولوجي وفضحه.

الكلمات المفتاحية: المسرحية؛ سعد الله ونوس؛ المرأة؛ الاغتصاب؛ التقابل؛ التضاد.

Abstract:

This study aims at a thematic approach centered on what Palestinian women suffer in theatre "usurpation" by Saadallah wannous, which reflected the range of contradictions at the level of female characters conscious, unconscious alienation and forgetfulness Home and Lost, Identity and Identity The writer's vision sought to capture the dramatic construction of his play by politicizing the vision put forward to reveal the political reality of the Palestinian people and women,

*المؤلف المرسل

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

especially from the actual and psychological sides and therefore the central intersection was about the mechanisms for building counterpoint and antagonism between Palestinian and Israeli women by stripping off and exposing ideological discourse.

Keywords: theatre; saadallah winnows; woman; usurpation; counterpoint; antagonism.

مقدمة

شكل المشروع المسرحي "لسعد الله ونوس" نقلة نوعية ذات رؤية جديدة تراهن على تصوير الأحداث وامتزاجها بالطابع السياسي الواقعي، وكشف فعل المقاومة ضد الآخر اليهودي بتصوير مختلف الشخصيات على تنوعها مرتكزا على بناء حكاية ناقدا لسلطة العدو. وفي مسرحيته "الاغتصاب" الذي اقتبس فكرتها من الكاتب الإسباني أنطونيو بويرو بايخو المسمى "القصة المزدوجة للدكتور بالمي" قد قدم تنوعا فكريا مميّز عن فكرة فاشية "فرانكو" الشخصية الرئيسية، بتصوير المرأة الفلسطينية على تنوع أدوارها وهي تعيش حالات الاغتراب في سياق المقاومة الفعلية والقولية. فكانت تيمة الاغتصاب الجسدي، هي مركز العمل المسرحي الذي خلق علاقة جدلية مشحونة بالصراع الإيديولوجي الذي تتكشف من خلاله رؤية "سعد ونوس" في التركيز على الأبعاد النفسية للمرأة الفلسطينية بعيدا عن هلام الصورة النمطية للشخصية الأسطورية، مما وضع القارئ في إشكالات تثير تساؤلاته التي تتمحور حول: كيف حاول "سعد الله ونوس" خلق توازن بين الذات الفلسطينية وحقلها الأنثوي؟ كيف يمكن لنقد الذات أن يعمل على إضمار الجانب المظلم من حياة المرأة الفلسطينية المغتصبة؟ كيف حقّق الأمل والتأمل في محاولة إعادة شفاء جرح الذات المغتصبة؟ وللكشف عن هذه الطروحات الإبستمولوجية اخترنا المنهج الوصفي التحليلي ليكون سندا في مقارنة النص المسرحي النموذج في بنائه الدرامي الفني والجمالي.

2-التعريف بالمسرح وخصوصيته عند "عبد الله ونوس":

يعتبر المسرح أكثر الفنون الأدبية التي يراهن فيها على النضج الفكري والتجربة الواسعة والعميقة، وذلك لرؤيته التي تقوم على خلق توازن بين البعدين الجمالي والمعرفي لتقنيات وأشكال البناء الدرامي للوصول إلى مستويات التفاعل بين النص والمتلقي، وهذا

نبيلة بونشادة

من جوهر العملية الإبداعية التي تعبر عن قيمة الفكرة التي تدور حولها المسرحية ومدى انفتاحها على الواقع ومجرباته. وهذه العلاقة من شأنها أن تنتج قيما تحدد رؤية الكاتب المسرحي التي قد تطبع بطابع سياسي اجتماعي. وبما أن المسرح جنسا أدبيا كغيره من الأجناس فقد أخذ على عاتقه مشاركة الأمة في قضاياها التي قد تدخل في سياق تأكيد هويتها وقوميتها، وفي هذا السياق تدخل مسرحيات " سعد الله ونوس " التي قاربت القضية الفلسطينية ليعبر من خلالها عن موقفه مع قراءة الواقعيين العربي والغربي الذي طبعت بتوجه سياسي. وبما أن لكل مسرحي أهدافه التي يسعى لتحقيقها من خلال الموضوعات التي يعالجها في نصوصه فقد كانت أهداف "سعد الله ونوس" محددة في النقاط التالية:

- خلق مسرح جماهيري للطبقات الكادحة من الشعب
- رفض القوالب الجاهزة في المسرح
- تسييس الخطاب المسرحي وتكريس هذا الجوهر في الممارسة المسرحية العربية¹

ارتبطت الرؤية السياسية بالمسرح الغربي الذي برز مع بدايات القرن العشرين، والذي جاء كرد فعل على الظروف السلبية التي خلفها العالم منذ الحرب العالمية الأولى. حيث توغلت أفكاره بين المجتمعات المحتلة وأصبح سلاحا يدافع عن الحركات التحررية. ثم ألقى بلامحه على المسرح العربي حيث تبنى الكتاب قضايا مجتمعاتهم وبدأوا يعبروا عن معاناتهم وقهرهم. وأبرز قضية توجهوا إليها هي قضية احتلال فلسطين وإقامة دولة الكيان الصهيوني. الذي نقل صراعاتها " سعد الله ونوس" في نصوصه المسرحية وجعلها مرآة تعكس بخاصة الصراعات الفكرية التي أنتجتها اختلال موازين العالم ومنطقة الشرق الأقصى. ومسرحية "الاغتصاب" تشكل نموذجا لمعاناة المرأة الفلسطينية وقت الاحتلال فكان شعورها بالاغتراب النفسي والمكاني والاجتماعي هو مدار الحدث وتمظهره بين مستويات البناء الدرامي.

ويعتبر هاجس التسييس الذي يركز على مفاهيم هي الحرية، السلطة، الإسقاط التاريخي، الموقف الراهن، الرؤية المستقبلية قد أخرج المسرح من التقليد الدرامي القديم وكذا من دائرة المسرح التجاري الذي تسابق أصحابه لعرضه على شاشات التلفزيون مما

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

جعل المعادلة مهزوزة، ومهمة تطوير تجربة المسرحية الجادة نوعاً من المكافحة الفكرية في سوق تحكمه شروط العرض والطلب.² ورغم بروز ملامح التوجه السياسي في مسرح ونوس إلا أنه تفاوت في نصوصه ليصل إلى ذروته بعد نسخة حزينان 1967م، حيث توجت أحداثه للطبقة الكادحة، بتقديم مشاكلها وتطلعاتها بعيداً عن الخطابات النمطية الجوفاء والزائفة، حيث حاول الغوص في الواقع مؤثراً فيه، وتحليل وربط الظواهر بعضها ببعض، ليصل إلى فهم متقدم لآلية ذلك الواقع.³ فكان متنفساً للمتلقي يجد صورته في تعدد وتباين الشخصيات عندما تعبر عن خوفها وفرحها بإنسانية بعيداً عن الصورة البطولية القديمة.

3- مفهوم الاغتراب ودلالاته:

أ_ لغة: يعني (جذر) (غ ر ب)، في المعاجم القديمة: "الغربة البعد عن الوطن، يقال: غربت الدار ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه الأرض، وشأو، مغرب، أي بعيد، قال:

أعهدك من أولى الشببية تطلب على دبر هيهات شأو ومغرب

والاغتراب عند "ابن فارس" اشتقاق من اشتقاقات الفعل غرب، الذي يعني البعد والنوى عن الوطن في مفهومه الإنساني، وعن الأرض بالنسبة للشمس في قولنا: لقد غربت الشمس بمعنى ابتعدت عن الأرض فهي غير ظاهرة تزول مع الأفق (...). والأمر سيان لظهور البعير فهو غارب بعيد عن متناول التراكب لا يدرك إلا بمشقة التسلق⁴. وبهذا يكون المعنى اللغوي للاغتراب هو النفي والنزوح، وبلوغ أوطان لا تشبه موطن الإنسان الأصلي ومرعاه الأول.

أما اصطلاحاً فهو يختلف حسب التخصص الذي يندرج فيه ولكننا سنركز على المفهوم الأدبي الذي عرف بأنه ذلك "الانفصال وعدم الانتماء الناتج عن وعي الفرد بالصراع القائم بينه وبين البيئة المحيطة به"⁵ فيجسد هذا الانعزال على شكل إبداع أدبي يعبر به الكاتب عن كل رؤاه ومواقفه، وفي سياق آخر عرف على أنه "الانخلاع والتخلي والانتقال، والتجنب والابتعاد والانسلاخ عن المجتمع، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع وعدم الشعور بالانتماء وبمعزى الحياة"⁶. هنا الاغتراب ظاهرة فنية تبرز كرد فعل يمارسه الكاتب اتجاه المجتمع الذي لم يستطع التأقلم معه. لكن قد يصبح

نبيلة بونشادة

الاغتراب ظاهرة جماعية تعيشها نتيجة ظروف مشتركة ينقل سلوكها الكاتب داخل النص الشعري، والقصصي والمسرحي في سياق مشحون بما تشعر به الشخصيات ومختلف ردود أفعالها وشعورها الداخلي.

4-تقديم مسرحية الاغتصاب:

كانت مرجعية "سعد الله ونوس" في عمله المسرحي "الاغتصاب" هو العمل المسرحي "القصة المزدوجة للدكتور بالمي" 1968م، وهنا يشير ونوس على أن " الهام المسرح الحقيقي لم يكن في يوم من الأيام الحكاية بحد ذاتها، وإنما المعالجة الجديدة التي تتيح للمتفرج تأمل شرطه التاريخي والوجودي".⁷ وكانت ما خلفته حرب اسبانيا من آثار الدمار على أهلها سببا في كتابة هذه المسرحية، والتي حاول " ونوس" محاكاتها واستعارتها وفق مستجدات الموقف والرؤية وهموم الواقع المتجدرة عبر التاريخ، والتي تخللت مستويات البناء الدرامي للحكاية، وأن يسقط أفكارها على القضية المحورية التي تدو حول الصراع الفلسطيني و الإسرائيلي ، ومن هذا المنطلق أحدثت مسرحيته " الاغتصاب" جدلا فكريا حيث صورت قضية الصراع الفلسطيني والإسرائيلي بمنظور مغاير ،جعل من شخصية اليهودي شخصية إيجابية بعيدة عن العنصرية تؤيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ويعتبر الاغتصاب جريمة يدان فاعلها كما تدعو للحوار الفاعل. في المقابل صورت التناقض في حالات الشخصيات وتحولاتها، وانفتاحا للمكان والحدث التاريخي الذي ارتبطت مرجعته بالانتفاضة العربية الفلسطينية التي حدثت في عام 1989م.

وبما أن المسرح له خصوصيته فإن "سعد الله ونوس" يشدد على التزام شخصياته بالحيادية والموضوعية يقول: "إنني أحذر هنا من أي ميل لتقديم الشخصيات الإسرائيلية بصورة مضحكة أو فجة، كما أحذر من المغالاة، أو من عجز الممثل عن ضبط عدائيته للدور الذي يؤديه، إنني أريد أداء واعيا ورسينا (...)"، أما المستوى الفلسطيني فإنني أ تصور الأداء فيه مبنيا على البساطة ونوع من الغنائية والخطابية لا مجال في هذه المسرحية للخطابة، بل إن الاقتراب من الأداء الخطابي يخرب العمل ويسطحه".⁸

تتضمن المسرحية راويان: راو إسرائيلي هو الدكتور ابراهام منوحين " وراوية فلسطينية هي " فارعة"، وحكايتان تتقاطعان في أحداثهما مع نقاط ثلاث هي: الاغتصاب،الاعتقال

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

الاصطدام. تروي الحكاية الأولى قصة المناضل الفلسطيني اسماعيل وأفراد أسرته، الذي اعتقل وخصي بالسجن، ثم اغتصبت زوجته دلال على مرأى من عينيه مما جعلها تترك وحشية الاحتلال وتتحول إلى فدائية تشارك في مقاومة الصهاينة، أما الحكاية الإسرائيلية فإنها تحكي قصة إسحاق الضابط في الأمن الداخلي الإسرائيلي، الذي أصيب بمرض نفسي أفقده رجولته من جراء ارتكاب الجرائم المقرزة بحق أفراد الشعب الفلسطيني، ووالدته التي تشبعت بالأفكار الصهيونية المتمتزة وراحت تزرع هذه الأفكار في نفس حفيدها الرضيع، أما زوجته رحيل فقد كانت تعاني من عجز زوجها و تسلط أمه، وزاد من معاناتها اغتصابها من قبل جدعون زميل زوجها، وقد جعلتها هذه المعاناة تقرر الرحيل وتهاجر إلى أمريكا حيث تقيم عمتها.

تنتفتح المسرحية على ترتيبة تقيم تقاطعا مع المسرح اليوناني، حيث عرضت المسرحية شخصيات إسرائيلية جسدت حدث الاغتصاب المادي المرتبط بالأرض والجسدين الذكوري والأنثوي حيث تعلن منذ بداية المسرحية عن موقفها وقراءتها للواقع وتوجهاتها. بعد ترتيبة الافتتاح تبرز تحت حركة المشاهد مقطعين للمسرحية، أطلق "سعد الله ونوس" على المقطع الأول سفر الأحزان اليومية الذي ينقسم إلى سبعة مشاهد ويجسد صمود الشعب الفلسطيني أمام محاولة انكساره وتشريده وقمعه، والمقطع الثاني سفر النبوءات الذي يكشف عن القناع الديني الذي تنتستر عليه الشخصية الصهيونية لتثبيت وجودها على أرض فلسطين حيث ينقسم إلى تسعة مشاهد يجسد فيها عبث الكيان الصهيوني وكرهها للفلسطينيين، ومحاولة اضطهادهم بشتى الوسائل. وتتخلل المشاهد شخصيات أنثوية تعبر عن موقفها ووصف شعورها. مقابل الشخصية الأنثوية الإسرائيلية التي تقع في الطرف النقيض على مستوى الفعل ورد الفعل.

5-التقابل والتضاد بين الشخصيات الأنثوية في مسرحية "الاغتصاب":

لم يقدم "سعد الله ونوس" شخصية الإسرائيلي النمطي بل صورته بصورة مغايرة تجعل المتلقي يغير زاوية الرؤية في قراءة الآخر من منطلق القناعات والتصرفات التي تستحق الوقوف عندها ومعرفة مفهوم العدو الواقعي، إذ يصطدم بصورة لم يتعود على مشاهدتها وقراءتها، وهذا ما أكده في نصه التالي: "أنا منذ عام 1948م لجأنا إلى آليات بدائية في مواجهتنا لإسرائيل ألقينا عليها المحرم و نفيناها إلى درك الرجس، و رتبنا تعاملنا مع

نبيلة بونشادة

هذا العدو الواقعي و الملموس على أسس طقسية و شعائرية إذ يكفي أن نتجاهلها ، و ألا نسماها و ألا نعرف عنها شيئاً، و أن نحرص على سجن وجودها في المحرم حتى نهزمها و نتخطى هذا الشر العابر الذي ألم بنا، لم نضع الصراع على صعيد تاريخي سياسي ديناميكي و إنما اكتفينا بالجلوس في ظل عدواتنا الساكنة منتظرين معجزة سحرية يقدمها زعيم أو جيش لا يعرف شيئاً عن عدوه⁹ " وقد أثبت قناعته في مسرحية "الاغتصاب" حيث صور الممارسات الإرهابية للكيان الصهيوني و توسيع سلوكه اتجاه الرجل الفلسطيني وزوجته ،مقابل سلوك شخصية إسرائيلية تتعرض لنفس الحدث من إسرائيلي ليكون التقابل هو محور الشخصيات التي بنيت عليها بنائها الدرامي لذلك استحضر ونوس المزامير وأسفار الملوك من العهد القديم. لإنتاج دلالات الاغتصاب.

• التقابل بين الوطن:

تطرح المسرحية رؤية تاريخية في سياق فني يتمركز على تيمة الهوية والانتماء من خلال تقابل أيديولوجي موروث يكشف ارتباط كل شخصية بالوطن. وهذا ما جسده شخصية "مائير" الإسرائيلية وشخصية "إسماعيل" الفلسطينية من خلال صيغة الحوار التالي:

مائير: من هم الفلسطينيون؟ لا يوجد فلسطينيون...**إسماعيل:** ومع هذا فإن بعض الفلسطينيين يشحذون خيالهم، كي يتصوروا دولة كريمة تتسع لي ولك، دولة حقوقنا فيها متساوية وحرماننا مكفولة، إنهم يحلمون...**مائير:** ما هذا اللغو؟ من توصل إليكم كي تخططوا لنا مستقبل وطننا؟

إسماعيل: وطنكم **مائير:** نعم... وطننا الذي لم يكتمل حدوده بعد. **إسماعيل:** ووطني... أين ذهب إذن؟ **مائير:** وما أدارني اذهب وفتش عنه عند أولئك العرب.

إسماعيل: لا أيها السيد، هنا وطني، هنا ولد آبائنا وقبلهم أجدادنا منذ قرون وقرون ونحن نحيك مع هذه الأرض العلاقات والمواثيق. وشممتا ووشمناها. (...)، لا أيها السيد هنا وطني، هنا تاريخي وحبل مشيمتي. وينبغي أن يكون التاريخ قرصانا مختلا كي يعطي حق الوطن لنزعة امبريالية تسترّها خرافة وتحملها دبابة...**مائير:** لقد حسم أيها الأبله. **اسماعيل:** لا... لم يحسم بعد أيها السيد¹⁰ " إن طرفي هذا التقابل الخطابي بين

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاعتصاب" لسعد الله ونوس

"مائير" و "إسماعيل" سينتج دلالات متعددة منها استمرارية الصراع السياسي والفكري والديني، فكرة إمكانية التعايش بين الطرفين، استمرارية الصراع والمقاومة.

• الشخصية الأنثوية الفلسطينية:

✓ شخصية الفارعة بين الشعور بالاغتراب والمقاومة:

تمثل شخصية "فارعة" رواية الحكاية ومركزية الحكي الأنثوي الفلسطيني التي عاشت وسط أحداث الاحتلال والصراع على فكرة من له الحق بملكية الوطن، وهذا ما شكّل بؤرة الحوار السابق ذكره بين "إسماعيل" و "بائير"، والذي كان تأثيره واضحا على الحوار الأنثوي بين "فارعة" و "لدال" حيث شعرت بالاغتراب وسط هذا الصراع الذي لم ينته تقول: "هم يذبحون ونحن نتوالد، هم ينسفون ونحن ننهض من بين الأنقاض، ما عدنا نولول وأنا التي كنت نائحة في المآتم أقلت عن النواح،¹¹" شحن هذا الملفوظ اللغوي بوعي المرأة / الأم و الزوجة بقيمة الأرض .وكيف تحولت النساء الفلسطينيات إلى طيور فينيق ينهضون من رماد التراب المعطر برائحة الشهداء الطاهرة ، فهي ابنة الشهيد الذي عمل فدائيا واعتقل في سجن "فارعة" التي سميت على اسمه، فقد ربت ابنها " وعد" على حب الوطن والمقاومة ،فكل يوم تجعله يستمع إلى حكاياتها لتبني شخصيته على وقائع من التاريخ حتى عندما يكبر يجد نفسه يملك تاريخا ثابتا عليه أن يحميه تقول له: " اصغ جيدا يا وعد. احتل. الصليبيون القدس وأسسوا الممالك وظنوا أن الأمر استقام، لكن القائد صلاح الدين الأيوبي أعد عدة الحرب وانقض عليهم بفرسان مصر والشام¹²" هنا الحكاية أسست بمرجعية تاريخية معادلة مشتركة أن العدو وجوهه متعددة لكن هدفه واحد والفلسطينيين لديهم وجها واحدا، وحلما محددا هو العيش في وطنهم بحرية. وسلام وهو مطلب شرعي غير ميسر. بل الآخر هو الذي جعلها قضية سياسية تتضارب فيها الآراء بين مؤيد ومعارض.

تملك شخصية "فارعة" وعيا بواقع المجتمع الفلسطيني إذ تعرف مخططات العدو وكيف يحاول طمس وطنها واغتصاب حريتها ووجودها الأنثوي تقول لدال: " لم تغتصب إسرائيل بلادنا كي توفر لنا الأمان...إن واقعنا مرعب، موت واعتقالات...بيوت منسوفة أطفال بلا أمهات...أتريدون أن يولد طفلك لا هوية وبلا أمل؟ هذا الطفل النائم، لغموا

نبيلة بونشادة

حياته قبل أن يولد إنه ينام الآن فوق لغم.... في حالتنا الانزواء عن المشاكل يعني الفناء البطيء... ونحن لا نريد أن نفنى¹³ يشعر القارئ وهو يستمع لكلام "فارعة" عمق شعورها بالاغتراب بين وطن ملامحه بدأت تتلاشى حيث غير الكيان الإسرائيلي وجه مدينتها وحرماها من زوجها المسجون الذي تنتظر رجوعه منذ ثماني سنوات وهي على أمل رؤيته من جديد ، لأنها الأنثى التي تربت على أن تعيش وتتوقع المعجزات وسط أحدث مأساوية تحمل بين طياتها صمود شعب تجاوزت أساطيره ورموزه ما كتبت عنه الثقافات.

تتزامم بداخل هذه الشخصية الأنثوية أفكارا وأحاسيس متناقضة تشعرها بالاغتراب. في المقابل تحاول أن تتمسك بجرعة أمل وسط الموت المحاط بها، فهي لا تعرف الخوف والانزمام فتجارب الحياة التي اختبرتها صنعت منها امرأة يصعب سقوطها، بل تحاول توعية دلال لأنها كانت عرضة للضعف والخوف بسبب نقص خبرتها وصغر سنها تقول: "إنى خائفة... الفارعة: لا تخافي يا دلال إنك أقوى منهم ...ارفعي رأسك وتماسكي¹⁴

صور "سعد الله ونوس" شخصية الفارعة وهي تعبر عن موقفها في أكثر من موضوع تيمى محدد داخل المسرحية كعلاقتها بالسجناء والدها وزوجها، ورؤيتها للوطن الذي تغيرت ملامحه فأصبح يشعرها بالاغتراب، وفي نفس الوقت ما زالت تبحث عن بصيص أمل تتمسك به بداخلها صامدة في قناعاتها، ترفض الاستسلام للكيان الصهيوني تحت أي مسمى حيث رفضت عمل أخوها " خالد " لديهم واعتبرتها جريمة في حق والدها الشهيد " حسين الصفدي" الذي دافع عن وطنه وعرضه، وأخوه لازال تحت التعذيب صامدا. وهذا ما يكشف تعدد الشخصيات وتوجهاتها وقناعاتها. لكن موقفها منطلق من عقيدة ايمانية لا ترغب في الانتقام بل الصمود والدفاع عن تاريخها وهويتها. تقول ردا على "دلال" المقتنعة أن أرض فلسطين لا تتسع للإثنين فتؤكد لها أن " الأرض مباركة لولا نزعة العدوان لاتسعت للجميع¹⁵ "صورت المسرحية تميزا للذات الأنثوية الفلسطينية "الفارعة" ففي بداية المسرحية عبرت عن شعورها بالاغتراب، وسياسة الآخر الذي يحاول تعميق هذا الشعور كي تفقد الذات الفلسطينية شعورها بالأمان والثبات ،لكن مع تطور الأحداث يكشف المتلقي ذاتا أخرى تتأصل بمشاعر الصبر والمقاومة ،وتتفوق باعتزازها بتاريخها وصبرها رغم ألم فقدان الأب والزوج. كما ترفض كل التصورات الإيديولوجية

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

الذي حاول الكيان الصهيوني تكريسها من خلال نسق ثقافي مغلق يؤمن بالتعالى والتفوق.

✓ شخصية دلال بين عنف الاغتصاب ورغبة الانتقام:

مثلت شخصية " دلال " الفتاة البسيطة ابنة التاجر الغني الذي أحببت إسماعيل المعلم والذي ضحت بعائلتها من أجله لأنه في نظرهم من المتمردين. كانت لا تفقه شيئاً من أمور السياسة إلى أن وجدت نفسها في قضية تكبرها. لكنها على وعي لما يحدث من حولها، "أعرف أن الواقع كان يطارده حتى في الفراش يشحب وجهه حين يرى المداهمات. ويدق قلبه حين يتناهى وقع الأقدام الدورية، ويشعر بالتعب حين يسمع الغارات تدق القواعد والمدن كان يرى مالا تزين وكان يعلم أن عناقماً محاصر.¹⁶" تتضاعف وحشية الإسرائيلي عند تعذيب دلال واغتصابها أمام زوجها إسماعيل الذي حاول المقاومة دون جدوى لأنه شخصية عاجزة مكبلة.

تصور المسرحية لذة التعذيب الطاغية على تصرفات الإسرائيليين منهم شخصية: إسحاق وهو "يتفوق في القسوة، أمسك شفرة وراح يشطب عانتها وتذبيها، ثم قطع نهدها الأيسر (...) كرزة حمراء دامية، حملها بين أصبعه، ثم رماها بنفور هلع، كان وجهه محتقناً، وعيناه تبرقان في وميض يائس، الموسيقى صاخبة، والدم يسيل مع انحناءات الجسد نهدها كرزة حمراء ملقاة على الأرض.¹⁷" فالمخابرات الإسرائيلية تستعين بمكبرات الأصوات أثناء التعذيب لإجبارهم على الاعتراف وهو ما يعرف " بالضغط البدني المعتدل " و هي استراتيجية إسرائيلية تتلاعب بأجساد الأبرياء تلقن العالم كيف يكون العنف ممزوجاً بفن الموسيقى كي يعمق من جروح الفلسطينيين ويضعف مقاومتهم وكبريائهم.

إن فكرة الاغتصاب بين أحداث المسرحية تتجاوز دلالاتها اللفظية والحسية، إلى بنية تتوزع تمفصلاتها على البناء الدرامي، فمن اغتصاب الجسد كفكرة تضرب بجذورها عبر التاريخ إلى اغتصاب للهوية، والأرض، والمعتقد. فهذا الفعل الذي سلطته يد الاستعمار الإسرائيلي على جسد عروس هو تثبيت لبربرية التفكير والسلوك. والذي سيؤثر بأبعاده النفسية على دلال وعلى بناء شخصياتها. وتغيير قناعاتها حتى تتحول صورتها من شخصية أنثوية لا تشارك الأحداث بل تتعامل معها بحيادية. فأقصى ما تحلم به هو الحفاظ على حبها وأسرته. رغم وجود قوة خارجية تؤثر على تفكير زوجها.

نبيلة بونشادة

إلى شخصية تتطور مع تصاعد وتيرة الأحداث فعند انتهاء حفلة التعذيب واستشهاد زوجها، تنمو شخصيتها ويزيد وعيها، وتتغير مشاعر الاغتراب إلى الرغبة في مشاركة الفلسطينيين لمحاربة الاحتلال الإسرائيلي. "إنني الآن أعرف إسرائيل كما أعرف جسدي أتعلمين أن لإسرائيل رائحة... إما نحن إما هم"¹⁸. فدلّال تيقنت أنها على أرض أصبحت لا تملك حتى جسدها فيها، فقررت تغيير قناعاتها بأن المقاومة لا تبحث عن النصر فقط بل تطمح لكتابة تاريخ لهذه الأرض الطيبة. بحقائق صادقة غير مزيفة، فانضمت إلى إحدى الكتائب وقامت بعملية تفجير استشهدت فيها.

• الشخصية الأنثوية الإسرائيلية:

✓ شخصية الأم العدائية للشعب الفلسطيني:

برزت شخصية الأم سارة بنحاس وفق تصور أيديولوجي متوارث في علاقته بأرض فلسطين وشعبها فهي تمثل رمزا لبني إسرائيل حيث تطمح إلى توسيع الرقعة الجغرافية التي تمتد من النيل حتى الفرات، كما برزت كأُم تصدرت الجهاز الإسرائيلي تتحكم في قناعاتهم وتغذي الشعور بالكراهية والعدائية " مع الانفجار الأول تظهر الأم سارة بنحاس مفعمة الحماس والهاياج، يتبعها ويتحلق حولها مائير وإسحاق وجدعون وموشي ودافيد... الانفجارات متواصلة. الأم: ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا. يقرأ وغنما جملا وحمارا "¹⁹ يكشف المقطع عن ذات سلبية تسعى إلى إنتاج خطاب معرفي مؤدلج يرفض تقبل الآخر ويسعى إلى طمس هويته وشرطه التاريخي القائم على التشويه، لذا يطالعنا ونوس على ذهنية الأم التوراتية من خلال مرجعية أسطورة داود حيث تحكي قصته على حفيدها الذي لا زال في المهد وهي أسطورة تجذرت بين الإسرائيليين التي كونت هويتهم وذكوريتهم.

إن شخصية الأم تتوضح من خلال حركة الأفعال التي تقوم بإنجازها والتي تكشف عن قوة شخصيتها وقراراتها وتسّلطها من مثل انتزاع حفيدها من حضن أمه التي تستسلم لها. في المقابل عاشت هذه الأنثى حالة الانزواء النفسي حيث تبقى مأكثة في غرفتها تكاد لا تخرج منها، لكنها تحاول الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق أحداث المذيع الذي كان ينقل الأحداث والأخبار على تنوعها.

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

لقد حاول "سعد الله ونوس" أن يعيّن شخصياته الأنثوية عن طريق التعيين الإسمي الذي يقيم تقابلا فكريا بين "الفارعة" الفلسطينية وسارة الإسرائيلية، فرغم التناقض الفكري بينهما إلا أن هناك تقاطع مجسد في تمسك كل شخصية أنثوية بفكرها وموقفها ودفاعها عما تؤمن بهمن فكرة النصر والتعمير التاريخي وشعبي الموروث.

✓ شخصية رحيل وانهزام الذات والجسد:

مثلت شخصية "رحيل" الأنثى اليهودية المثقفة التي قتل خطيبها فراحت تتردد على عيادة ابراهام طبيب الأمراض النفسية، ثم تزوجت من إسحاق ضابط الأمن الداخلي لإسرائيل، رزقت منه طفلا تكفلت أم زوجها برعايته وكان زوجها يعاني من عجز جنسي أثر على حياته الزوجية. وبعد ما قتل زوجها من طرف مائير قررت الرحيل إلى أمريكا وقد ساعدها الدكتور ابراهام.

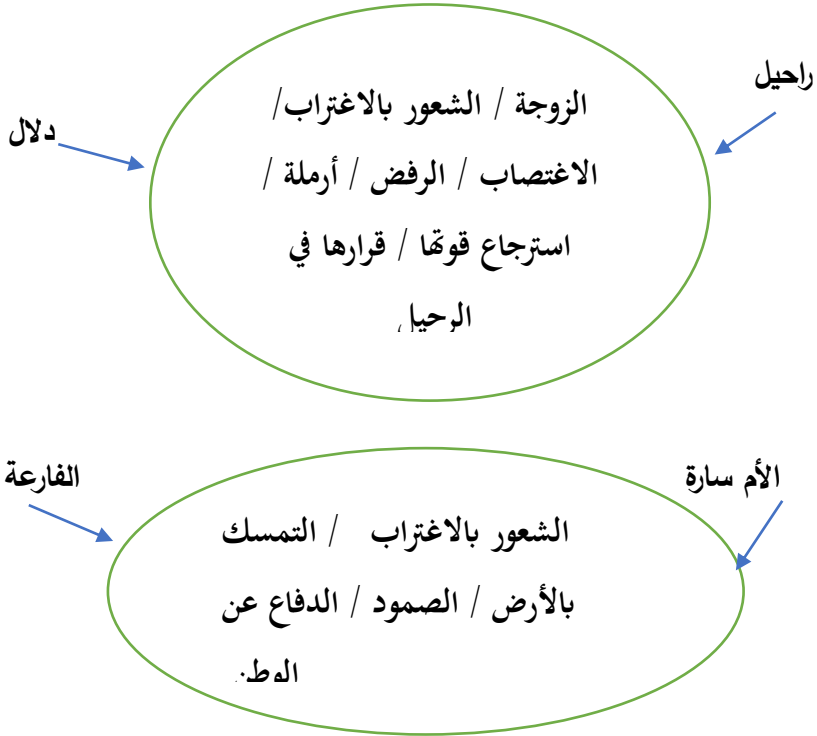
عانت هذه الشخصية من صدمات عنيفة متتالية أثرت على التكوين النفسي لها حيث ازدادت معاناتها مع أم زوجها سارة التي كانت تتدخل في تربية طفلها. وتسلبها حرية التصرف حيث رفضت تلك التعاليم اليهودية التي تحرض على العنف والصراع "راحيل: ترفقي بالطفل يا أماه. أذناه الغضتان لا تتحملان هذه العبارات"²⁰ وتتضاعف عقدها النفسية عندما تغتصب من صديق زوجها جوعون.

إن فكرة الاغتصاب هي عصب البناء الدامي للمسرحية، وعلى رغم اختلاف هوية الأنثى بين الفلسطينية دلال والإسرائيلية رحيل فإن عنف الجسد له تأثيره على سلوك الشخصية وطبيعة قراراتها. وهي تمثل نمطا أنثويا ثوريا رافضا للعنف والاضطهاد الصهيوني.

• التقاطع الأنثوي ودلالته:

قدم "سعد الله ونوس" في مسرحيته "الاغتصاب" تنوعا أنثويا تقابليا بين الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية تتشابه نفسيا عبر وجود مؤدج تتقاسمه الأمومة والجسد وهذا ما يجسده المخطط التالي:

نبيلة بونشادة



يشكل هذا النطاق تشكيلا نفسيا أولا يبدأ بالشعور بالاغتراب ثم يتطور وينضج ويتغير بتغير الأحداث، ونموها عبر تخطيط سياسي مقصود. منفتح على سياق يصور تمثيلا قوميا ذاتيا محوره الجسد والأرض.

✓ **خاتمة:**

من خلال هذه المقاربة الإبيستيمولوجية نخلص للنتائج التالية:

- انتهج سعد الله ونوس في مسرحيته الاغتصاب حوارا فنيا مؤدلجا يقوم على تنوع الشخصيات وتقابلها بحكايتين شكلا مركزية الحدث ودورانه حول تيمة الاغتصاب.
- كشف محاولة الإسرائيلي إلغاء الوجود الفلسطيني وإضعاف مقاومته عن طريق فعل الاغتصاب الذي كان فعلا متعدد الدلالات فهو لا يجسد اغتصابا جسديا فقط بل هو اغتصاب للأرض، والروح، والهوية، والوجود، والاستقرار.

اغتراب المرأة الفلسطينية في مسرحية "الاغتصاب" لسعد الله ونوس

- إن شعور المرأة الفلسطينية بالاغتراب لم يكن ثابتاً بين ثنايا البناء الدرامي للمسرحية بل غابت ملامحه مع نمو وعي الشخصية وافصاحها عن موقفها اتجاه القضية وتبنيها لفكرة التحرر الفعلي والقولي.

-تقوم مسرحية الاغتصاب على ثنائية التركيب السردى القائم على دلالتين هما صمود الشعب الفلسطيني و قمع و تقتيل الصهيوني وهذا التركيب كشف عن شخصية معتدلة تحب العدالة و تحلم بتحقيقها بين الحكايتين و هو الدكتور ابراهيم الذي يقيم حواراً في نهاية المسرحية مع "سعد الله ونوس" حيث يؤكد على نزاهته و ايمانه بالعدالة و الحوار الثقافى المشترك و إمكانية العيش بين ثنائية هجينة من الهوية الفلسطينية و الإسرائيلية وهذا ما حقق فكرًا مغايرًا ختم بانتهاء شخصية الطبيب في مستشفى المجانين و كأنه يشير إلى استحالة التفاعل و التقارب الفكرى و الحضارى .

✓ الإحالات والهوامش:

1 سعد الله ونوس: الأعمال الكاملة، المجلد الثالث بيانات لمسرح عربي جديد، دمشق، دار الأهالي، 1996، ص: 23-25.

2 جان الكسان: التشخيص والمنصة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989م، ص: 113.

3 بدوي محمد: تجليات التغريب في المسرح العربي، قراءة في سعد الله ونوس، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثالث، 1982، ص: 112.

4 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: تح: عبد السلام هارون، دط، مج4، مادة (غ رب) دار الفكر القاهرة مصر 1972، ص: 421.

5 موسى كراد: الاغتراب السياسي في الشعر الجزائري الحديث في مرحلة التحولات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، العدد 1، ميله، الجزائر، 2019، ص: 138.

6 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

سعد الله ونوس: الأعمال الكاملة، مسرحية الاغتصاب، المجلد الثاني، دار الأهالي، دمشق: 20.

7

المصدر نفسه، ص: 9: 88

المصدر نفسه، ص: 69: 9

- 10 المصدر نفسه، ص: 125-126.
- 11 المصدر نفسه، ص: 170.
- 12 المصدر نفسه، ص: 128.
- 13 المصدر نفسه ص: 75.
- 14 المصدر نفسه: ص: 79.
- 15 المصدر نفسه، ص: 59.
- 16 المصدر نفسه، ص: 18.
- 17 المصدر نفسه، ص: 59.
- 18 المصدر نفسه، ص: 24.
- 19 المصدر نفسه، ص: 12-13.
- 20 المصدر نفسه، ص: 25.

المصادر والمراجع:

- سعد الله ونوس: الأعمال الكاملة، المجلد الثالث بيانات لمسرح عربي جديد، دمشق، دار الأهالي، 1996.
- جان الكسان: التشخيص والمنصة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989م، ص: 113.
- بدوي محمد: تجليات التغريب في المسرح العربي، قراءة في سعد الله ونوس، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثالث، 1982.
- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: تح: عبد السلام هارون، دط، مج4، مادة (غ رب) دار الفكر القاهرة مصر 1972.
- موسى كراد: الاغتراب السياسي في الشعر الجزائري الحديث في مجلة التحولات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، العدد 1، ميلة، الجزائر، 2019.